نحو الوحدة ليس له علاقة مباشرة بالعامل الاقتصادي او الجغرافي او التراثي مثلا.. فكل هذه العوامل ثانوية جداً فيما لو قيست «بالعامل الفلسطيني». يقول د. الرزاز في كتيبه «الوحدة العربية هل لها من سبيل» ان ثورة التحرير الفلسطينية تصبح هي ذاتها منطلق ثورة الوحدة العربية. لأنها هي الوحيدة المؤهلة لخلق القوة العربية القومية ضد الاستعمار. ويرى الرزاز في هذا الكتيب أن وحدة النضال العربي يمكن أن تتجلى فيها كما لم تتجل في تحرير أي قطر آخر. ويرى أيضا ان «وحدة النضال العربي من أجل تحرير فلسطين هي الفرصة الوحيدة المتبقية أمام العرب من أجل تحقيق الوحدة العربية، وبقدر ما يضع العرب فيها من جهد، بقدر ما يقتربون من تحقيق الوحدة»[١٦] بل إن المؤلف يذهب ليقول: إن مصير الوحدة مرتبط بالثورة الفلسطينية؛ ففي سياق حديثه عن دور الثورة الفلسطينية في انجاز الوحدة العربية جاء ما يلي: «.. وإذا قضي على الثورة الفلسطينية بالفشل، لا بد أن نعرف أنه قضي على تحرير فلسطين، أولاً، وقضي على الوحدة العربية ثانيا، كما قضي على كل الأهداف القومية التحررية الكبرى ثالثاً»[١٧].

فكل وحدة اللغة، والأرض والتاريخ، لن تفيدنا، كما يرى المؤلف، اذا لم تخض الجماهير العربية معركة التحرير الفلسطينية، بقوة جماهيرية قومية موحدة.

يتضح من حديث الصلح والرزاز انهما يبالغان في الربط بين الوحدة وتحرير فلسطين، ويخلطان بين مهام حركة التحرر العربية بعامة وبين مهام الثورة الفلسطينية. لا أحد يدعي أن لا علاقة ابدا بين مهام حركة التحرر العربي والثورة الفلسطينية، ولا يزعم أحد ان لا رابط بين الوحدة والنضال العربي في سبيل تحرير فلسطين، لكن هذه الروابط والعلاقات لا تعني التطابق الكامل.

إن المبالغة في التشديد على المسألة القومية أدت، في كثير من الأحيان، الى تجاوز خصوصيات الواقع العربي وبالتالي إلى الوقوع في فخ المثالية الزائفة.

ويعمم د. عبد الوهاب الكيالي منهج هذه الطروحات حين رأى، في كتابه «المقاومة الفلسطينية والنضال العربي»، أن القاسم المشترك، بين جميع التيارات التي تنادي بالدولة الفلسطينية الديموقراطية، هو المنطق القطري واهمال العامل القومي العربي والجماهير العربية والثورة العربية في حرب تحرير فلسطين، واغفال دور الوحدة العربية في حماية فلسطين بعد التحرير. ويرى الكيالي ان السبب في وقوف جبهة التحرير العربية، التي تؤمن ايماناً عميقاً بوحدة النضال والمصير العربيين، موقفاً نقدياً من الشعار يكمن في أن كيانات التجزئة غير قادرة على حماية استقلالها كما أنها غير قادرة على اقامة المجتمعات التقدمية والديموقراطية. ويعتبر د. الكيالي أن أحد اهم أسباب تشجيع الاستعمار لفكرة الاستيطان الصهيوني انه كان يستهدف الحيلولة دون قيام دولة قوية موحدة في المنطقة العربية، وذلك لما تشكله هذه الدولة الموحدة من تهديد للمصالح الاستعمارية الاقتصادية منها والاستراتيجية والسياسية على حد سواء[١٨].

ولعل هذا الطرح لا يجانب الحقيقة تماماً. ولكن ماذا سيكون موقف الفكر القومي العربي من دولة فلسطينية تُبنى بقوة البندقية أو بتغيير موازين القوى العالمية لصالح